مجلة العميد

Journal Homepage: https://alameed.alameedcenter.iq/
ISSN: 2227-0345 (Print) ISSN 2311-9152 (Online)

الصراع الداخلي في ليبيا (١٩١٥-١٩٢٢)

سمير عبد الرسول العبيدي[١]

١-الجامعة المستنصرية / مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية / قسم الدراسات التاريخية، العراق؛
dr.saa2004@yahoo.com
دكتوراه في التاريخ الحديث / أستاذ مساعد

تاريخ الاستلام:
١٨/ ٨/ ٢٠٢٠

تاريخ القبول:
٢١/ ١٠/ ٢٠٢٠

تاريخ النشر:
٣٠/ ٦/ ٢٠٢٢

الكلمـات المفتاحيـة:
ليبيا، الحروب الأهلية (١٩١٥-١٩٢٢)

الملخص:

تميز المجتمع الليبي بمكوناته كافة ومناطق سُكناه بهيمنة الطابع القبلي، لاسيما مع الاتساع الجغرافي، وضعف السلطة المركزية، ما سمح للزعماء القبليين بقدر واسع من السلطات، بخاصة فيما يخص الشؤون المحلية و زاد منه الانتشار العميق للتحالفات القبلية.

بالمقابل حاول الاستعمار الايطالي في مدة حكمه(١٩١٢-١٩٤٣)، استغلال هذه الظاهرة، لجذب بعض الزعماء، من أجل شق الصف الوطني، والسعي لإضعاف المقاومة، أي سياسة " فَرّق تَسُدْ"، ما أوجد عدداً من الصراعات الأهلية، بين بعض الزعماء القبليين والمناطق خلال المدة (١٩١٥-١٩٢٢)، كانت تحركها بالأساس الطموحات الشخصية، ويمكن تتبع آثارها العسكرية عبر زعيم مصراتة رمضان السويحلي (١٩١٥-١٩٢٠)، و خليفة بن عسكر (١٩١٦-١٩٢٢) في منطقة الجبل الغربي.

المجلد (١١) العدد (٤٢)

DOI:
10.55568/amd.v11i42.67-92

CC BY NC

Interior Conflict in Libya (1915-1922)

Sameer Abidalrasul Al-Abaydi [1]

1- University of Al-Mustansiriya, Al-Mustansiriya Centre for International and Arabic Studies / Dept of Historical Studies, Iraq; dr.saa2004@yahoo.com
PhD in Modern History / Assistant Professor

Received:
18/8/2020
Accepted:
21/10/2020
Published:
30/6/2022

Keywords:
Libya, civil wars (1915-1922) , internal conflict, civil violence.

Al-Ameed Journal

Volume (11)
Issue (42)

DOI:
10.55568/amd.v11i42.67-92

Abstract

During the period (1915-1922) the Italians succeeded in provoking multiple conflicts stirring internal conflicts in many places, causing their parties to enter a violent armed struggle ; Ramadan al-Suwahili, the leader of Misurata, and Khalifa Bin Askar in the Western Mountain. These parties cast onerous losses on all the warring parties that force them to devote themselves to wars and internal fighting, rather than fighting the occupation and beget severe consequences on the jihad movement. Such sets the Italians more dominant to impose their authority on Libya in 1931 .

Ramadan al-Suwahili (1915-1922), who is the leader of Misurata, was also involved in the internal fighting, as he was one of the contributors to the great victory against the Italians, he gains control over Misurata and some of the neighboring areas, then he entered into a series of internal wars, with the Senussians and others. On August 20, 1920 he was killed during a raid on the city of Warfala. The internal conflict widens the splitting of the national unity and gives force to the occupation .

المقدمة:

شهدت ليبيا على مر تاريخها الحديث والمعاصر، جُملة من الأحداث التاريخية المفصلية، لعل من أهمها الاحتلال الايطالي (١٩١٢-١٩٤٣)، الذي أنهى الحكم العثماني الطويل (١٥٥١-١٩١١)، وبغض النظر عن كونه احتلالاً تمَّ بالقوة، فقد عانى المحتلون الأمرين من حركة الجهاد الليبي (١٠ تشرين الأول ١٩١١-٢٤ كانون الثاني ١٩٣١)، تلك التي امتدت لتشمل كامل التراب الوطني، ولتشغل الايطاليين الذين تكبدوا خسائر فادحة إبان المدة الأكبر من الاحتلال، لذا لجؤوا بالإضافة إلى إتباع أساليب القوة العسكرية الغاشمة، ومحاولة استقطاب العناصر المحلية، ثم السعي لبث الفرقة والشقاق بين صفوف الزعماء المحليين، متبعين سياسة"فرق تسُد " الاستعمارية المعروفة، ما أوجد صراعات داخلية مريرة في المدة (١٩١٥-١٩٢٢)، تحكمت بها جملة من العوامل والمؤثرات الداخلية والخارجية، أفضت بالمحصلة إلى نتائج بالغة الأهمية.

تطرق المبحث الأول " التركيبة الاجتماعية (السمات العامة) " إلى الناحية الاجتماعية، إذ تتميز البلاد بامتداد جغرافي كبير، وطيف واسع من المكونات القومية والدينية – الطائفية، زاد من ذلك ترسخ العامل القبلي، بين جميع المكونات، ولم يستثنِ من ذلك المناطق الحضرية الساحلية،كُل ذلك ترك تأثيره الواضح على مُجمل الأحداث السياسية- العسكرية في مدة الاحتلال الايطالي.

درس المبحث الثاني " الاحتلال الايطالي وبروز الزعامات الوطنية"، و ما نتج عن طرد العثمانيين من البلاد، عقب مدة حكمهم الطويل، مما أدى إلى سلسلة من التغيرات المتسارعة، على مُختلف الصُعد، كان من أبرزها ظهور الدور المتنامي الكبير لمختلف الزعامات الوطنية، رافقه غياب السلطة المركزية، أو ضعفها، ما أوجد عدداً لا يستهان به من الإشكاليات المختلفة، برزت بالأخص مع دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى في ٢٩ تشرين الأول ١٩١٤، ومحاولتها إعادة نفوذها في البلاد، عبر الاتصال لإعادة الصلات السابقة بالزعماء المحليين، زاد منه دخول ايطاليا الحرب بالمعسكر المعادي في ٢٣ أيار ١٩١٥، و سبق ذلك إلحاق المجاهدين الهزيمة بقواتها للمدة (تشرين الثاني ١٩١٤-نيسان ١٩١٥)، فزادت الحرب من أعباء المحتلين لايطاليين، ومنحت حرية تحرك شبه مطلقة للزعماء المحليين.

تناول المبحث الثالث الزعيم القبلي " رمضان السويحلي ١٩١٥-١٩٢٠"، وهو زعيم مصراتة، ومن ابرز القادة المؤثرين، من المساهمين في النصر الكبير ضد الايطاليين، ونجح بفرض سيطرته على مصراتة وبعض المناطق المجاورة، ليقيم فيها حكومة محلية بزعامته، ولم يتأت هذا الأمر بسهولة، بل دخل في سلسلة من الحروب الداخلية، مع السنوسيين وسواهم، أفضت إلى مقتله في ٢٠ أب ١٩٢٠، في أثناء غارة له على مدينة ورفلة مركز أحد خصومه المحليين.

سعى المبحث الرابع والأخير " خليفة بن عسكر١٩١٦-١٩٢٢"، إلى تتبع الصراع الداخلي المرير وتداعياته في منطقة الجبل الغربي، الذي اتخذ النمط العرقي في بعض الأحيان، بين قبائل جادو ويفرن، في حين كان أحد ابرز أطرافه، الزعيم القبلي خليفة بن عسكر، وهو صراع أسهم به الايطاليون منذ البدء، بل أججوه خدمة لمصالحهم، في شق وحدة الصف الوطني، وهو ما نجحوا به في خاتمة المطاف.

أولاً: التركيبة الاجتماعية (السمات العامة) .

تشكلت ليبيا الحديثة بحدودها المعروفة الآن في مرحلة الاستعمار الايطالي (١٩١٢-١٩٤٣)، وفي العهد العثماني (١٥٥١-١٩١١) لم يكن استخدام كلمة ليبيا شائعاً بل تُعرف بولايتي طرابلس الغرب وبرقة، و كانت هيمنة الدولة تقتصر على المراكز الساحلية فقط [١]، ومن الجدير بالذكر أن بعض الدول العربية ومعظم الدول الإفريقية قد رُسمت حدودها بناء على تقسيمات العهد الاستعماري الطويل، ومن المفروض أن تتشكل الدولة من جراء عوامل داخلية، أي بعبارة أخرى أن تقوم الشعوب بتخطيط حدودها بناء على وعيها بكيانها الخاص فتعمل على أن تكون حدودها السياسية مطابقة لوجودها الحضاري والثقافي[٢].

ولاشك أن القبيلة -بعكس ما ينعتها بعضهم بكونها تنتسب للماضي في الأساس- تشكل جوهر التكتل الاجتماعي الليبي، إذ تجمع رابطة الدم الأفراد للدفاع عن مصلحة عامة مشتركة، وقد نظمها الدين الإسلامي وأزال عنها العادات التي لا تتوافق مع تعاليمه السمحة، فهي كأي تنظيم اجتماعي تُدار بحسب الجهة التي تتولى زعامتها.

١ للتفاصيل عن العهد العثماني ينظر: محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة عبد السلام ادهم، محمود الأسطى، بنغازي، منشورات الجامعة الليبية، ١٩٧٠، ص ١٣-١١٠ .

٢ د.صلاح العقاد، ليبيا المعاصرة، القاهرة، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية،١٩٧٠، ص٥

كانت القبيلة اللبنة الأساسية للمجتمع الليبي على مرَّ تاريخه الطويل، فإلى هذا التكتل الاجتماعي العفوي ينسب إليه الفضل في الحفاظ على التماسك الاجتماعي والتصدي لهجمات المحتلين، وما عزز من ذلك انتساب الغالبية العظمى من السكان إلى قبائل عربية المحتد، قحة الأرومة، استوطنت البلاد من شبه الجزيرة العربية على مدى مراحل تاريخية متعاقبة، إذ استوطنت بعض هذه القبائل في المدن الساحلية وسميت "الحضر"، وأقام بعضها قي مناطق البادية والدواخل وسميت (البدو)، وجميعها تنتسب لأصول مشتركة لكنها تفرعت مع مرور الأيام وتعاقب السنين إلى فروع متعددة [٣].

استوطن البربر البلاد عند الفتح العربي الإسلامي وقد اختلفت الآراء في أصل موطنهم الأول، فبعض يرى أنهم حاميون، و آخرون يرى انهم يرجع أصلهم إلى أوروبا، وربما كان في خصائص البربر الجسمانية ما يؤيد الرأي الأخير، فبشرتهم ناصعة البياض وتكثر فيهم العيون الملونة والشعر الأشقر.

ينتشر البربر في المدن الغربية والجنوبية مثل زوارة ويفرن ومزدة، وبالرغم من التشابه بين البربر والعرب في كثير من العادات والتقاليد الاجتماعية، إلا أن هناك فروقاً بينهما تتضح من الأمور الأتية:

١ .يعتنق البربر المذهب الإباضي وهو مذهب من المذاهب الإسلامية ينتمي إلى عبدالله بن أباض(ت ٧٠٩)، بينما أكثرية العرب مالكية المذهب.

٢ .أنهم قوم مستقرون يسكنون المنازل والقرى، بينما يغلب على العرب حياة الترحال وسكنى الخيام، ويتعلم أكثرية البربر في قرى تحكمها الجماعة وتسود هذه الجماعة الحياة التعاونية فكل فرد بالغ له الحق في التحدث والنقاش مع الآخر في أمور قريته، والحق أن تنظيم هذه الشريحة من المجتمع خضع لخصائص المذهب الإباضي، وهذا بعكس العربي الذي ينتظم في قبيلة يحكمها الزعيم وهو السلطة المطلقة.

٣. لهم لغة خاصة بهم يستخدمونها فيما بينهم (الأمازيغية)، بالإضافة إلى اللغة العربية [٤].

و التمازج بين العرب والبربر يكاد يكون تاماً فقد شاعت فيهم اللغة العربية، وقد استمر التعريب حتى في العهد العثماني، على الرغم من دخول عنصر جديد هو العنصر العثماني الذي يمثل

---

٣ محمد عبد الرزاق مناع، الأنساب العربية في ليبيا، بنغازي، ليبيا، مؤسسة ناصر للثقافة- دار الوحدة، ١٩٧٥، ص٧-٨ . للتفاصيل عن التركيبة الاجتماعية ينظر: محمود ناجي، المصدر السابق، ص ١١١-١٢٠ .

٤ د.حسن محمد جوهر، مصطفى شرف، صلاح العرب عبد الجواد، ليبيا، مصر، دار المعارف، سلسلة شعوب العالم (٤)، ١٩٦٠، ص ٩-١٠ . من ابرز قبائل البربر (لواته، هوارة، زناتة، مزيغ). للتفاصيل ينظر: محمد عبد الرزاق مناع، المصدر السابق، ص ٩٨-١٠٢

السلطة، لكن استخدام اللغة التركية اقتصر على أفراد الفئة القليلة الحاكمة، أو المنحدرين من زواج العثمانيين بالنساء المحليات، والذين يلقبون " بالقولوغلية".

فتوكيد الصبغة العربية للبلاد، له ما يبرره على أساس التطور التاريخي الذي عرفه المجتمع المحلي خلال قرون، ومهما يكُن من أمر فإنه يجدر بنا إن نذكر إن هذا التمازج بين الحضارات والسلالات البشرية لم يكن تمازجاً انتصرت فيه حضارة واحدة أو سلالة واحدة، بل إن الحصيلة هي نتيجة انصهار هذه الحضارات والسلالات جميعها ضمن التركيبة الاجتماعية، وثمة شيء عربي لا يتطرق إليه الشك هو اللغة العربية، مع إن هناك لهجات بربرية قد يمكن العثور عليها ضمن مجتمعات صغيرة منعزلة.

إن التباينات العربية – البربرية التي كان لها أثر عام في تكييف المجتمع في شمال إفريقيا، آثار في العرب والأمازيغين شعوراً " قومياً " بلغ درجة كبيرة من الشدة، إلى أن تم أو كاد يتم، انصهار العرب والبربر في بوتقة واحدة، فزوال هذا الامر وانتصار فكر الإسلام بتوحيد الشعوب والأمم، سهل خضوع جميع بلدان الشمال الإفريقي للحكم العثماني باستثناء المغرب، والذين حكموا هذه البلدان، كانوا خلفاء لا حكاماً مستبدين، من الناحية الرسمية على الأقل، بخاصة مع هيمنة الحكام المحليين وزعماء القبائل بمناطق الدواخل، واكتفاء الدولة العثمانية بالنفوذ الاسمي في ايالة طرابلس الغرب وجباية الضرائب، بخاصة في المدن الساحلية والمناطق الحضرية [٥].

انتمت الغالبية العظمى من السكان في طرابلس الغرب إلى مجتمع ريفي زراعي تتخلله مجموعة من المراكز الحضرية وبعض المناطق البدوية التي لا تشكل ثقلاً يُذكر، وبذلك ظهرت زعامات على شكل عائلات في أماكن مختلفة في المدن والأرياف، لتحظى بالنفوذ على حساب بقية العناصر الأخرى في المجتمع، وعلى العكس من ذلك فإن برقة كانت منجذبة نحو الدواخل إلى الصحراء التي أوجدت نمطاً من التنظيم السياسي هو نمط زعماء القبائل، باستثناء بعض المراكز الحضرية الساحلية التي نجحت فيها الحركة السنوسية[٦]، أن تستقطب تلك القبائل ضمن دعوتها الدينية التي أصبحت فيما بعد تأخذ طابعاً سياسياً؛ أما منطقة فزان الصحراوية الشحيحة الموارد قليلة السكان،

٥ د.مجيد خدوري، ليبيا الحديثة(دراسة في تطورها السياسي)، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٦، ص١٦-١٧. للتفاصيل ينظر: راسم رشدي، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، ط١، القاهرة، دار النيل للطباعة، ١٩٥٣، ص ٩٢-١٠٣ .

٦ مؤسسها محمد علي السنوسي (١٧٨٧-١٨٥٩)، الذي أسس حركته في مدينة البيضاء عام ١٨٤٣. للتفاصيل ينظر: محمد الطيب بن إدريس الأشهب، السنوسي الكبير(عرض وتحليل لدعامة الإصلاح السنوسي)، مصر، مكتبة القاهرة، ١٩٥٦، ص ٦-١٥٤ .

فقد تكتل قاطنوها في مجموعات داخل الواحات المتباعدة ما جعلهم بمنأى عن التيارات السياسية في طرابلس الغرب وبرقة، مع هيمنة واضحة للزعماء القبليين على الشؤون المحلية، جراء غياب السلطة المركزية.

يلاحظ في التقسيم السابق أن الحياة القبلية هي الغالبة على المجتمع الذي يتكون من حضر وريف وبدو، فالعلاقات الاجتماعية في المجتمعات القبلية علاقات متعددة الجوانب قائمة على روابط متعددة في مجتمع واحد، أذ يتعامل الأفراد مع بعضهم على أساس القرابة والنسب على قطعة ارض واحدة، فالنظام الشائع هو الملكية الجماعية لأفراد القبيلة، لكن وصل النظام القبلي في المناطق الساحلية و بعض الواحات الداخلية في مراحل معينة الى درجة من الانحلال مما أدى إلى ظهور فئة كبار الملاك وكبار التجار وفقراء المدن وصغار المزارعين، أما في مناطق الدواخل فقد ظل التنظيم القبلي محافظاً على وجوده بما يتضمنه من ملكية مشتركة، ويرجع ذلك لما خلفته الإدارة العثمانية التي كانت سيطرتها في المناطق الساحلية أقوى من الدواخل، ومن خلال ذلك يتجلى ظهور الصراع والتعارض بين القوى التقليدية التي تؤكد الولاء للقبيلة والمسؤولية الجماعية واحترام التقاليد المتوارثة، وبين القيم الجديدة التي تبرز وتؤكد الروح الفردية والمسؤولية الشخصية[٧].

يختلف مجتمع الريف عما هو الأمر عليه في المدن، إذ تغلب على الحياة فيه، الطابع الرتيب البسيط، وتبرز متانة الروح الجماعية بين أفراده، وصلات القربى التي تبدأ من مستوى الأسرة إلى القبيلة: لذا كان المجتمع يحيا بنمط شبه مستقل، تحكم بعلاقاته مع المدن، ترافق ذلك مع سيادة العرف القبلي، لذا فالتسمية تطلق على المجتمعات الريفية والمجتمعات البدوية التي تضم القبائل الرُحل ذات الأصل المشترك كذلك، ولعل هذا التداخل يعود إلى أن القرية أساساً أنشأتها قبيلة من القبائل الرحل، قررت الاستقرار والعزوف عن حياة الترحل، فامتهنت الزراعة وسكنت البيوت، محافظة على تكوينها وتركيبها الاجتماعي، وعلى أعراف البادية وتقاليدها وعاداتها، ذلك ما يتجلى بالملكية المشتركة للأراضي الزراعية [٨].

٧ مراد أبو عجيلة القمودي، حكومة مصراته الوطنية وأثرها على حركة الجهاد في ليبيا من سنة ١٩١٤-١٩٢٢، ط١، مصراته - ليبيا، مكتبة الزحف الأخضر، ٢٠٠٩، ص ٨٦-٨٨ . للتفاصيل ينظر: راسم رشدي، المصر السابق، ص ١٠٤-١١٣ .

٨ تيسير بن موسى، المجتمع الليبي في العهد العثماني(دراسة تاريخية اجتماعية)، الجماهيرية العظمى، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٨، ص٣٦ .

لذا فبالإجمال لا يستطيع الباحث أن يفصل النظام الاجتماعي عن مظاهر الحياة الأخرى، فبدون إدراك النظام الاقتصادي والإداري وصلات القربى والثقافة العامة وتوضيح علاقات هذه المظاهر مع بعضها، لا يستطيع الوصول إلى فهم متكامل لبِنية الحياة والنظام الاجتماعي [٩] .

لم يكن الحكم العثماني مرحباً به لدى السكان، فكثر التذمر والشكوى بينهم، لكنهم بالإجمال نجحوا في التهرب من الخدمة العسكرية، وكانوا غالباً ما يُعفون من دفع الضرائب، و تأثروا كنظرائهم الآخرين في الوطن العربي بالأفكار الدينية الإصلاحية التي دعا إليها جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨-١٨٩٧) وتلميذه محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥) من جهة، والدعوة القومية التي حمل لواءها مصطفى كامل (١٨٧٤-١٩٠٨)، زعيم الحزب الوطني، والصحافة المصرية، من جهة أخرى، لكن بالمقابل ظل السكان على ولائهم للوحدة العثمانية، مع الإيمان بالحاجة الماسة للإصلاح والتجديد، أي إن الحركة القومية في الشمال الإفريقي، لم تكن رد فعل ضد الحكم العثماني، على نحو ما حدث في بلدان المشرق العربي، بل كانت متسقة تماماً مع السلطة العثمانية ومتعاونة معها، إذ ارتبط الشعور الوطني بالدين، ذلك أن الهدف لم يكن، مقاومة الدولة العثمانية، جراء الروابط الدينية المتماسكة، لذا كان عمق الشعور الديني من أقوى الدعائم للشعور الوطني- القومي [١٠] .

لقد كان سكان المدن والفلاحون والقبائل الرحل منذ بدايات القرن التاسع عشر يرون مصالحهم مرتبطة بالقرابة والأيدلوجيات الدينية، أكثر من ارتباطها بالانتماء الطبقي، وعلى الرغم من وجود الطبقات فإن التشكيل الطبقي أعيق بسبب اقتصاد الاكتفاء الذاتي الذي كان يتمتع به الفلاحون والرحل، وعدم استقرار الدولة المركزية والملكية الخاصة، ومع انتهاء الحكم العثماني العام ١٩١١، كانت أثار ثمانين عاماً من تشكيل الدولة العثمانية ونمو الرأسمالية الأوروبية قد زعزعت البناء الاجتماعي الريعي القديم، وغذت السمات الطبقية الناشئة الفارقة التي ميزت بشكل حاد بين جهات البلاد الثلاث، فطرابلس الغرب كانت فيها طبقة أعيان وفلاحين وصفوف(تحالفات) قبلية، في حين كانت فزان في أقصى الجنوب الصحراوي خاضعة لسيادة الصفوف القبلية والقبائل المالكة للأراضي والخماسين(الفلاحين الذين يزرعون مقابل منح نسبة الخُمس للمُلاك)، ولم يكن

٩ جميل هلال، دراسات في الواقع الليبي، طرابلس، مكتبة الفكر، ١٩٦٧، ص١٣٢ .

١٠ د.مجيد خدوري، المصدر السابق، ص١٩-٢٠. للتفاصيل عن الحياة الدينية ينظر: تيسير بن موسى، المصدر السابق، ص ٦٥-٩٠ .

ثمة في برقة فلاحون، وكانت الحركة السنوسية، بأوج قوتها، قد وحدت القبائل المنقسمة ضمن قوة اجتماعية متلاحمة [١١] .

وإذا كان السكان الحضر المستقرون ينتشرون في الشريط الساحلي وفي الجبال القريبة من البحر(الجبل الغربي والجبل الأخضر) وفي الواحات، فإنه من الخطأ الاعتقاد بأن الرحل يتوزعون في الصحراء التي تشكل نحو ٨٠٪ من مساحة البلاد، وفق مباديء لا تأخذ بالاعتبار إلا حاجتهم إلى الترحال، فالحياة البدوية كانت شديدة الارتباط بحياة الحضر، لأسباب وعوامل، هي :

١. على مستوى الاقتصاد بفروعه الزراعية والحرفية والتجارية.

٢.على المستوى الثقافي بحكم انتمائهم إلى منظومة ثقافية دينية عامة، يمثل الحضر مركز كثافتها وإشعاعها.

٣.على المستوى السياسي، إذ يمثل التحالف أو الصراع مع القبائل الرحل إحدى معادلات توسع نفوذ الدولة في الأرياف، ولذلك فإن التوزيع الجغرافي للقبائل الرحل على الأرض، وتنقلاتهم في الصحراء، كانت تأخذ في الاعتبار جوانب عديدة من هذه العناصر.

غير انه لا يمكن أن نرسم الخريطة السكانية للبلاد من دون أن نركز على نقطة مهمة، وهي أن المنطقة الطرابلسية تتميز عن المناطق الأخرى بالكثافة السكانية المرتفعة وبنمط العلاقات التي تربط بين حياة الاستقرار على الساحل وفي الجبل (الغربي)، وحياة القبائل الرحل التي تخترق هذين الفضائين، سواء في سهل الجفارة أم في دواخل مرتفعات الجبل الغربي ومنطقة القبلة [١٢] .

ثانياً: الاحتلال الايطالي وبروز الزعامات الوطنية.

رغبت ايطاليا باحتلال إيالة طرابلس الغرب وهي آخر ممتلكات الدولة العثمانية في الشمال الإفريقي، وقد نجحت في ذلك بعد إعلانها الحرب على الدولة العثمانية (٢٩ أيلول ١٩١١-١٨ تشرين الأول

١١ د.علي عبد اللطيف احميدة، الأصوات المهمشة (الخضوع والعصيان في ليبيا أثناء الاستعمار وبعده)، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، تموز ٢٠٠٩، ص ٥٥ .

١٢ د. المولدي الأحمر، الجذور الاجتماعية للدولة الحديثة في ليبيا(الفرد والمجموعة والبناء الزعامي للظاهرة السياسية)، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه (٧٨)، أكتوبر ٢٠٠٩، ص ٨٧ -٨٨ . للتفاصيل ينظر: إسماعيل كمالي، سكان طرابلس الغرب، تعريب وتعليق حسن الهادي بن يونس، الجماهيرية العظمى، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، سلسلة الدراسات المترجمة (٣٠)، ١٩٩٧، ص ١١-٦٦ .

١٩١٢)[١٣]، ومنذ الأيام الأولى أسهم المجاهدون بكثافة في الحرب ضد القوات الغازية لذا سرعان ما اكتشف الايطاليون أن احتلال البلاد بالقوة شيء، والسيطرة عليها شيء آخر تماماً، فانخرطوا بصراع عسكري مرير استمر للمدة (١٠ تشرين الأول ١٩١١-٢٤ كانون الثاني ١٩٣١)[١٤]، ولذلك عندما قامت الحرب العالمية الأولى في ٢٨ تموز ١٩١٤، والتي دخلتها الدولة العثمانية بتأريخ ٢٩ تشرين الأول ١٩١٤، وأعقبتها ايطاليا في ٢٣ أيار ١٩١٥، سعى العثمانيون إلى إعادة الصلات مع قادة المجاهدين وشرعوا بدعم من حلفائهم الألمان لتقديم الدعم المادي والعسكري لهم، فبدأ الايطاليون يواجهون الصعاب المتزايدة، واندلعت المعارك مع المجاهدين بكافة الجبهات[١٥] .

قاوم المجاهدون القوات الايطالية منذ الأيام الأولى للغزو، في البدء تحت قيادة الضباط العثمانيين، تحدوهم روح التنافس بعضهم ضد بعض في ساحات القتال، وهذا التنافس حاجة طبيعية بالنسبة لأهل البادية إذ كل قبيلة تمجد وتفتخر بنفسها تجاه القبائل الأخرى، إذ استغلت القيم الاجتماعية القبلية من لدن القيادات العسكرية للمجاهدين لدعم المجهود الحربي، مما شجع على الاستيلاء على اكبر قدر ممكن من العتاد الحربي من القوات الايطالية في كل معركة، وبذلك توحدت صفوف المقاومة في المرحلة الأولى من حركة الجهاد فاشترك جميع أبناء القبائل والحضر متضامنين في سبيل قضية واحدة ضد عدو مشترك، و كان رجال القبيلة يخرجون للقتال تحت قيادة شيخ القبيلة أو من ينوب عنه في تلك المهمة ومن ثم فهم لا يعرفون شيء عن قادتهم إلا أنهم يتلقون الأوامر والتعليمات منه أثناء المعركة [١٦] .

إلى جانب ذلك تبرز أمور أخرى، إذ كان أول ما انكشف في جانب الزعماء المحليين هو انشغالهم وفق مبدأ البناء الزعامي الضيق للظاهرة السياسية، أي غلبة المصالح الشخصية والقبلية – الجهوية، تلك التي لا تسمح باعتبار البلاد ساحة مفتوحة بالكامل لنشاط جميع الزعماء المحليين دونما اعتبار

١٣ للتفاصيل عن الحرب الايطالية- العثمانية ينظر:عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ط١، ترجمة عبد السلام أدهم، بيروت، دار لبنان للطباعة والنشر،١٩٦٩،ص ٢١٤-٢٢٦ .

١٤ .للتفاصيل عن مراحل ومُجريات الجهاد ضد المحتل الايطالي ينظر:اليوزباشي إبراهيم لطفي المصري، تاريخ حرب طرابلس، ط١، بنها، مطبعة مؤسسة الأمير فاروق، ١٩٤٩، ص ٣٢-٥٤ ؛ حبيب وداعة الحسناوي، قصة جهاد الليبيين ضد الاستعمار الإيطالي (١٩١١ -١٩٤٣)، ليبيا، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ١٩٨٨ .

١٥ د.مجيد خدوري، المصدر السابق، ص٢٤. للتفاصيل ينظر: الطاهر احمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، ط١، القاهرة، مطبعة الفجالة الجديدة، ١٩٥٠، ص ١٣٩-١٥٠ .

١٦ مراد أبو عجيلة القمودي، المصدر السابق، ص ٨٩ .

لخصائصهم الاجتماعية، ولذلك، فإنه في أول فرصة أتيحت لهم لمناقشة سبل مواجهة التحدي الاستعماري الماثل أمام أعينهم، ظهر هولاء وهم يلقون في وجه بعضهم تهم التعصب للعرق والقبيلة والمذهب، أو التحيز للتحضر والتقليل من شأن البداوة- القبلية، وانقسموا بذلك إلى فرق عدة، نادى بعضها بحصول البلاد على الاستقلال، في حين قبل بعضهم الآخر بالتفاوض مع المحتل الايطالي والاستسلام لشروطه، لكن المسألة كانت في الحقيقة أشد تعقيداً من ذلك، فلا المجموعات التي تمسكت بحق الاستقلال السياسي والإداري للبلاد نجحت في تحويل موقفها إلى واقع عملي في المناطق التي تسيطر عليها، ولا الذين قبلوا بالتعاون مع المحتل استطاعوا الحفاظ على وحدتهم [١٧].

كان اللجوء إلى إنعاش الروح الوطنية الليبية اعتماداً على الإشادة بالمجاهدين والشهداء والمآثر المتعلقة بالمقاومة ضد الاحتلال، احد الأسباب في كون الكتابة التاريخية في ليبيا بعد الاستقلال في ٢٤ كانون الأول ١٩٥١، تناولت مسألة التعاون والتواطؤ مع الدولة الايطالية الاستعمارية، على نحو عاطفي وموجه سياسياً، لقد استغل التاريخ اجتماعياً وسياسياً في ليبيا ما بعد الاستعمار في العهد الملكي(١٩٥١-١٩٦٩)، ثم عقب انقلاب ١٩٦٩، فبسبب الرقابة المفروضة من الدولة على التاريخ الوطني ابتداء من عام ١٩٥١، ظلت المصادر المتعلقة، بالتعاون والتواطؤ، مثل المذكرات وغيرها من الوثائق، محفوظة لدى الأسر المعنية، وبعد عام ١٩٧٠ فقط أتيحت مواد جديدة للباحثين بسبب رغبة النظام الجديد في نزع المصداقية عن وجهة نظر النظام الملكي المتعلقة بالتاريخ، وقد نحت الدراسات الليبية بعد الاستعمار نحو اختزال دوافع المتطلينين في الضعف الأخلاقي، وتتجاهل وجهات النظر الاختزالية لهذه الخلفيات الاجتماعية، وتعقد الدوافع لدى الليبيين اللذين عاشوا تحت وطأة الاحتلال الايطالي [١٨].

في حقيقة الأمر، يبدو من الصعب على أكثر من مستوى، تقديم برهان على وجود بناء قبلي خالص لأي من أنواع المجموعات السياسية التي كانت تتشكل أو تتفتت في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ويمكن إرجاع هذا الأمر إلى ثلاثة أسباب، وهي:

١.صعوبة الفصل بين البدو والمستقرين في الأرياف.

١٧ د.المولدي الأحمر، المصدر السابق، ص ٣١٠-٣١١.
١٨ د.علي عبد اللطيف احميدة، المصدر السابق، ص ٦٤-٦٥.

٢.إن تشكل العلاقات السلطوية السياسية وقيم النفوذ والهيمنة بين الأفراد والمجموعات البدوية لم يكن يحدث بمعزل عما يجري في مناطق الاستقرار الزراعي، وكذلك في المدن بحيث تتكاتف عناصر الظاهرة السياسية وتتجسد في مؤسسات الدولة.

٣.أن البدو المحاربين يشكلون أحياناً النسيج الذي تتكون منه المجموعات السياسية الدينية، وهذا يعني أن البدو ليسوا حكراً على النموذج الزعامي الحزبي، غير أن الخصائص الاجتماعية للسكان الحضر، ودرجة الكثافة السكانية التي يقوم عليها نموذج المجموعة العسكرية البيروقراطية المحتكرة للدولة في المدينة من جهة، وخارجية المرجعيات السياسية العامة التي تشتغل بها المجموعات الدينية عن البدو من جهة أخرى، قد جعلت من نموذج المجموعات السياسية البدوية المحاربة، التي لا تنضوي تحت هذا الصف أو ذاك، نموذجاً قائماً بذاته له ديناميكيته الخاصة [١٩].

كان الحدث الأبرز في تلك المرحلة التاريخية هو توحد قوى المجاهدين في طرابلس الغرب وبرقة وفزان، ما أدى إلى هزيمة كاسحة للايطاليين في موقعة بئر القرضابية التي جرت قرب سرت في ٣٠ نيسان ١٩١٥، إذ كانت القوات السنوسية بقيادة صفي الدين السنوسي (١٨٩٥-١٩٦٧) وفزان بقيادة أحمد سيف النصر(١٨٧٧-١٩٥٤)، في حين بلغ عدد القوات المقاومة حوالي ٢٠٠٠ رجل، لكن اللحظة الحاسمة في المعركة كانت عندما أمر رمضان السويحلي (١٨٨١-١٩٢٠)[٢٠]، مقاتلي مصراتة بضرب القوات الايطالية التي كان متحالفاً معها، من الخلف، ما أدى الى هزيمتها، إذ خسر الجيش الايطالي ٥٠٠ من جنوده وضباطه، بالإضافة إلى ٢٣٢ من المجندين الليبيين، وقد استولى رمضان السويحلي على معظم الغنائم الحربية وهي ٥٠٠٠ بندقية، وكميات هائلة من العتاد، وأحد عشر مدفعاً، بالإضافة إلى كميات كبيرة من النقود والمؤن.

كان سبب النصر الكبير هو وحدة المجاهدين، التي لم تتكرر كثيراً عقب ذلك، إضافة إلى انضمام قوات مصراتة إليهم في أثناء المعركة، وقد أدت معركة القرضابية إلى نتائج مهمة في توازن القوة بين الطرفين المتصارعين، إذ حدثت سلسلة من المعارك المتواصلة، مع استثمار المجاهدين لانتصارهم،

١٩ د.المولدي الأحمر، المصدر السابق، ص ١٣٥ -١٣٦ .

٢٠ رمضان بن الشتيوي بن أحمد السويحلي، المعروف ب"رمضان السويحلي"، من ابرز قادة المجاهدين ضد الاحتلال الايطالي، ولد في زاوية المحجوب بمصراتة. للتفاصيل ينظر: محمد مسعود فشيكة، رمضان السويحلي، ط١، دار الفرجاني، طرابلس- ليبيا، ١٩٧٤، ص ٢٣-٢٨ .

ليقتصر الوجود الايطالي على مدينتي طرابلس الغرب والخمس في منطقة طرابلس الغرب، وفي مدينتي بنغازي والمرج في منطقة برقة، في حين تم تحرير فزان بالكامل، وظل هذا الوجود رهين هذا الحصار، حتى عام ١٩٢٢ عندما بدأت عمليات الاحتلال الشامل [٢١].

لقد شعرت ايطاليا باستحالة تحقيق أي نصر عسكري، فلجأت إلى الأساليب السياسية-العسكرية، منتهجة استراتيجية تهدف إلى إثارة الفتنة والانشقاق بين صفوف زعماء المجاهدين وسعت إلى استمالة بعض الفئات وتأليبها على فئات أخرى، وكان أهم ما توخته في ذلك العمل على إحداث انقسام بين مصراتة وورفلة وبين ترهونة ومصراتة ثم بين زعماء الجبل الغربي، ولا مناص من الاعتراف بأن السياسة الايطالية التي أخفقت عسكرياً في تلك المرحلة التي أعقبت القرضابية، قد نجحت في إحداث الصدع بين الصفوف، ليبرز في تلك المرحلة رمضان السويحلي زعيم مصراتة، وخليفة بن عسكر في الجبل الغربي [٢٢].

ثالثاً: رمضان السويحلي (١٩١٥-١٩٢٠).

ظهرت زعامات مختلفة باختلاف مصالحها ومواقفها من حركة الجهاد بعد القرضابية ليشكلوا حكوماتهم القبلية كلّ في نطاق نفوذه، وعلى النحو الأتي:

١.عبد النبي بلخير(١٨٨٠-١٩٣١)، في ورفلة، الذي استغل الموقع الاستراتيجي للمنطقة في تحقيق طموحاته الشخصية، لكنه استطاع ان يخفيها في مرحلة الجهاد الأولى عندما اشترك في الحملة الايطالية لاحتلال فزان (١٩١٣-١٩١٤)، بصفة مستشار، ونجح بإزاحة عائلة سيف النصر لما تتمتع به من نفوذ في منطقة الواحات والعديد من قبائل ورفلة، وتسبب في سجنهم ونفيهم إلى زوارة ليزيد نفوذه وليقضي على منافسيه في تلك المناطق، في حين وقف على الحياد، ولم ينضم الى المجاهدين إلا بعد القرضابية، ليشرع بإزاحة خصومه داخل ورفلة بالإطاحة بعائلة ابن قطش، وفي المقابل اخذ منافسوه من عائلة سيف النصر باسترجاع نفوذهم في فزان والواحات بين قبائل اولاد سليمان والمقارحة وقبيلة المغاربة في سرت.

---

٢١ د.علي عبد اللطيف احميدة، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا (١٨٣٠ – ١٩٣٠)، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه (٢٦)، يناير ١٩٩٥، ص ١٦٨. للتفاصيل عن موقعة القرضابية ينظر: الطاهر احمد الزاوي، المصدر السابق، ص ١٥١-١٦٢.

٢٢ خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا ١٩١١-١٩٣١، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣، ص ٥٨-٥٩ .

٢.احمد المريض(١٨٧٥-١٩٤٠) زعيم قبائل ترهونة ومسلاتة، وينتمي إلى قبيلة عواسة، اشتهر بالدهاء والحكمة ليحظى بشعبية كبيرة، وربطته علاقة طيبة بأسرة المنتصر بترهونة مكنته من الدخول في علاقات مع الولاة الايطاليين الذين تعاقبوا على حكم البلاد فاعتمدوا عليه في العمل السياسي و نجح في الحفاظ على التوازن بعلاقاته ليتجنب إثارة الشكوك حوله.

٣.سليمان الباروني (١٨٧٠-١٩٤٠)، تمتع بمكانة اجتماعية كبيرة بين سكان الجبل الغربي في العهد العثماني، و قاد حركة المقاومة في المدة(١٩١١-١٩١٢)، ليغادرها عقب الصلح إلى اسطنبول، لكنه عاد مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، وقام بالاتصال بالسنوسيين، لكنه اخفق بمهمته، فعاد أدراجه، ثم عاد في عام ١٩١٦ بفرمان من السلطان العثماني لتعيينه والياً وقائداً عاماً بطرابلس الغرب، و شكل حكومة وطنية في مدينة الزاوية.

٤.كان نفوذ عائلة أل كعبار القرغولية مسيطراً على غريان قبل الاحتلال الايطالي، واستمرت بإدارة المدينة، إذ تزعمها احد أبنائها الهادي كعبار (١٨٧٨-١٩٢٣).

٥.استقل الشيخ محمد سوف المحمودي (١٨٥٧-١٩٣٠) بمنطقة الجفارة الغربية بصفته نائباً للسلطان العثماني في طرابلس الغرب عقب عودته إليها عام ١٩١٦، متخذاً من منطقة العزيزية مركزاً له مستغلاً بذلك منصبه والأموال والأسلحة التي زودته بها الدولة العثمانية في تدعيم مركز أسرته وقبيلته باعتماده على أقاربه في إدارة المنطقة [٢٣].

ظهر رمضان السويحلي لأول مرة قائداً لصفوف مصراتة في موقعة الهاني بتأريخ ٢٣ تشرين الأول ١٩١١، خلفاً للمجاهد احمد المنقوش جراء إصابته، ثم تولى القيادة في حملة مياني ضد سرت، لكن دوره في هزيمة الايطاليين بموقعة القرضابية أدت الى تعاظم نفوذه، في حين لم يكن له أو لعائلته نفوذ ملموس في العهد السابق، فقد كانت عائلة المنتصر متنفذة في مصراتة لما تتمتع به من سلطة وثروة، آهلَّها لتولي مناصب كبيرة في الإدارة العثمانية.

مع جلاء الايطاليين عن مصراتة أعلن رمضان السويحلي في ٥ آب ١٩١٥، تشكيل حكومة وطنية بزعامته فيها، وأول عمل قام به هو جمع الغنائم الحربية ووضعها في مخازن كبيرة، تحت

٢٣ مراد أبو عجيلة القمودي، المصدر السابق، ص ٩١-٩٤ .للتفاصيل ينظر: د.المولدي الأحمر، المصدر السابق، ص ١٣٦-١٤٨ .

إشرافه، ثم اخذ في اختيار من يرى فيهم الكفاية لمعاونته من المخلصين له، وأخذ الأمور بما تستحق من الحزم، فأستقامت له وسارت كما يجب أن تسير [٢٤].

ولتحقيق ذلك حظي رمضان السويحلي في البدء بدعم من السنوسيين، حلفائه ضد الايطاليين، الذين زودوه بالسلاح لتحرير مصراتة، ثم أصدر صفي الدين السنوسي أمره بتعيينه حاكماً للمدينة، ما سمح له بالتخلص من نفوذ خصومه المحليين من أسرة المنتصر، لكن بإزاء ذلك شرع صفي الدين السنوسي بتوسيع سيطرته فنجح بطرد الايطاليين من ورفلة في أواخر شهر آيار ١٩١٥، ليبايعه سكانها في أوائل حزيران بصفته وكيلاً عن أخيه السيد احمد الشريف السنوسي (١٨٧٣-١٩٣٣)، ثم توجه إلى مصراتة، وطلب من رمضان السويحلي تسليمه غنائم القرضابية وجمع الضرائب والزكاة الشرعية المستحقة، ما أثار غضبه، ومن هنا بدأ الخلاف بين الطرفين، ثم فوجيء بموقف رمضان السويحلي، الذي رفض مبايعته بذريعة، عدم مشاورة السكان، فتوجه صفي الدين السنوسي إلى ترهونة التي بايعه فيها زعيمها احمد المريض، في أثناء ذلك تباحث الجميع بالإجراء الواجب اتخاذه في مصراتة، فاستقروا على الاجتماع مع رمضان السويحلي في مدينة زليطن، تلك التي وصلها بمعية جيش كبير يفوق القوات السنوسية، وأُبلغ المجتمعون من السنوسيين وحلفاؤهم احمد المريض والشيخ محمد بن سوف المحمودي، بأن سكان مصراتة وزليطن وغريان ضمن الساحل الممتد من مصراتة إلى سرت، لا يرغبون بالخضوع إلى السنوسيين، أي إن حكم مصراتة أصبح خارجاً عن سيطرتهم، ليتطور الأمر إلى قتال مسلح، أفضى الى هزيمة السنوسيين وحلفائهم، فقرر صفي الدين الانكفاء إلى برقة، في أثناء العودة ابلغه عبد النبي بلخير زعيم ورفلة نقضه البيعة له، ولم يكتفِ بذلك، بل قبض بالاتفاق مع رمضان السويحلي، على الحكام الإداريين الذين عينهم السنوسيون في مصراتة وزليطن وورفلة، ومنهم احمد التواتي عبدالله الأشهب ومفتاح الزوي، ليتم محاكمتهم ثم إعدامهم في مصراتة، وبحلول منتصف شهر أيلول ١٩١٥ وصل صفي الدين السنوسي مع مقاتليه إلى زاوية النوفلية، حيث الحدود الطبيعية بين طرابلس الغرب وبرقة، لتنتهي بذلك علاقة التحالف القصيرة الأمد بين الجانبين [٢٥].

٢٤ الطاهر احمد الزاوي، المصدر السابق، ص ١٧٧-١٧٩ .

٢٥ اليوزباشي إبراهيم لطفي المصري، المصدر السابق، ص ٦٢-٦٥. للتفاصيل ينظر: الطاهر احمد الزاوي، المصدر السابق، ص ١٨١-١٩١ .

بدأ رمضان السويحلي في محاولة بسط نفوذه على حساب جيرانه من اجل تحصيل الضرائب وزيادة عدد قواته، بمحاولة ضم مسلاتة التي تتبع أعيان ترهونة، حلفاء خصومه السنوسيين، والذين يتزعمهم احمد المريض، لتحدث بعض المناوشات بين الجانبين في شهر آب ١٩١٦، لكن لم يتجاوز فيها القتال حدود بعضهما، وترجع أهمية المدينة الإستراتيجية، إلى كونها تبعد عن مدينة الخمس التي يتحصن بها الايطاليون نحو ٢٥ كم، وهي مركز متوسط للمواصلات، بين الجهات الشرقية (زليتن ومصراتة وسرت)،والجهات الشمالية الغربية (ساحل آل حامد وقماطة والقربوللي)، ما يجعل منها قاعدة مهمة لحماية مواصلات قوات رمضان السويحلي، لكن سرعان ما تم عقد الصلح بين الطرفين، بوساطة سليمان الباروني، الذي يقضي باعتبارها منطقة محايدة[٢٦] .

خلال ذلك استشاط رمضان السويحلي غضباً من حليفه السابق عبد النبي بلخير زعيم ورفلة، لأن الأخير استضاف بعض زعماء السنوسية، إذ إن بينه وبين السنوسيين عداءً مستحكماً منذ العام ١٩١٥، وازداد غضبه حينما شوهد عبد القادر المنتصر في منطقة ورفلة يناوش قطعان ابل مصراتة، إذ اعتبره رمضان السويحلي مسؤولاً بشكل شخصي عن هذا الاستفزاز العدائي، كذلك ناصبت عائلة المنتصر رمضان السويحلي العداء في الماضي، منذ إقدامه على قتل أحد أبنائها قبل الاحتلال الايطالي(أبو القاسم المنتصر) بسبب خلاف شخصي، ولكن السبب الأساسي للصراع هو طموح رمضان السويحلي للتوسع على حساب جيرانه الآخرين من الزعماء القبليين، عقب حصوله على المعونات العسكرية الألمانية والعثمانية.

بدأت السلطات الايطالية في تأجيج الفتنة، بإرسال الأسلحة سراً إلى عبد النبي بلخير حليفها السابق، الذي تعاون معها في حملتها لاحتلال فزان عام ١٩١٤، كما إنه ليس من المستغرب أن يشجع زعيم ورفلة عائلة المنتصر وزعماء الحركة السنوسية خصوم رمضان السويحلي، في مسعى للحصول على دعم حلفاء محتملين في سبيل التصدي لطموحات رمضان السويحلي التوسعية، لهذا كان الجو العام مشحوناً بالتوتر، الأمر الذي أدى إلى هجوم رمضان السويحلي برفقة نحو ٢٠٠٠ من قواته على ورفلة في ٢٠ آب ١٩٢٠، وقد اختار طريقاً قصيراً يمر ببني وليد ولكنه ارتكب خطأً فادحاً بعدم

٢٦ محمد مسعود فشيكة، المصدر السابق، ص ١١٩-١٢٠ .

توفير المياه الكافية لقواته في منتصف فصل الصيف اللاهب مع قيظ الصحراء، لذا أدى نقص المياه إلى هزيمة القوات المهاجمة ومقتل رمضان السويحلي.

وهكذا صُفي احد خصوم الايطاليين الأساسيين، وصاحب الفضل الأساسي بهزيمتهم النكراء في القرضابية، لكن بالمقابل أصبح عبد النبي بلخير معزولاً من قادة المجاهدين الآخرين، الذين وإن اعترفوا بطموحات رمضان السويحلي التوسعية، لكنهم لم يغفروا لعبد النبي بلخير قتله لأحد أهم قادة الجهاد ضد المحتلين الايطاليين [٢٧] .

رابعا: خليفة بن عسكر (١٩١٦-١٩٢٢).

بدأ الوضع يزداد سوءاً في المنطقة الغربية (طرابلس الغرب)، وبدأت معه تظهر الحزازات العرقية وعوائد الصفوف ومصالح شخصية، وعلاقات ثأرية ليست من شيم المجتمع المسلم بشيء، والذي يتصف بتعاليمه السمحة ويحض على الوحدة والتضامن والوقوف صفاً واحداً إزاء من يتربص بالبلاد، فضربت الفوضى أطنابها، حين وجهت البنادق إلى الأشقاء بدلاً من أن توجه للمحتل، الذي أصبح محاصراً في مواقع متباعدة، فلو تضافرت الجهود لتم دحره، لكن سيطرة الأقوى والتعصب لجهة ما في غياب القانون، أفضى الى تلك النتيجة الكارثية [٢٨] .

وما تزال الحرب الأهلية بين القبائل العربية من الزنتان والرجبان، وبين قبائل البربر الاباضية في منطقة الجبل الغربي (١٩١٦-١٩٢٢) غامضة، فقبل هذه الفتنة كان البربر في مقدمة المجاهدين، وكانوا مع العرب في وفاق تام، لكن تنازع الزعماء على السلطة شتت أمرهم، ففي بداية عام ١٩١٦ استقر الشيخ محمد سوف المحمودي، بالجفارة الغربية وهو يحمل فرماناً عثمانياً بتعيينه نائباً للسلطان، ليتخذ من العزيزية قاعدة له، وقد استغل منصبه وما حصل عليه من معونات لدعم مركز قبيلته، على حساب الزعماء الآخرين، وكمثال على ذلك تعيين أبناء عمومته وحلفائه في المناصب الإدارية، نذكر منهم تسمية عيسى بوسهمين قائمقاماً على زوارة (على حساب عائلة ابن شعبان المتنفذة) وتعيين محمد بن بلقاسم المحمودي قائمقاماً على النوايا، متجاهلاً بذلك شيخ النوايل حرب النايلي، وأحمد باشا المحمودي متصرفاً على يفرن (على حساب ساسي خزام)،وعون بلحاج المحمودي

٢٧ د.علي عبد اللطيف احميدة، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا (١٨٣٠ – ١٩٣٠)، المصدر السابق، ص ١٧٦. للتفاصيل ينظر: الطاهر احمد الزاوي، المصدر السابق،ص ٢٧٩-٢٨٣ .

٢٨ مراد أبو عجيلة القمودي، المصدر السابق، ص ٩٦-٩٧ .

قائمقاماً على الجوش..الخ، وكان لهذه التعيينات الجديدة اثر سلبي على بعض الزعماء القبليين الذين سبق ذكرهم .

تكون سكان الجبل الغربي في العام ١٩١١من قبائل وفلاحين اباضيين كسكان جادو وفساطو وكابو أو قبائل عربية مالكية المذهب كالزنتان، الرجبان، الأصابعة، الحرابة، المشاشبة، أولاد بوسيف، الريابنة والمحاميد، وقد حافظ الجميع بالجبل الغربي على استقلاليتهم عن العثمانيين، وبديلاً للسلطة المركزية انقسم قبائل وفلاحو الجبل الغربي إلى صفوف وتحالفات كتنظيمات سياسية في مواجهة الأخطار والغزو الخارجي، و في عامي ١٨٧٠ و ١٩١٠، برز صفان مهمان، المشاشبة وأولاد بوسيف، قسم من الريابنة مع فلاحي وقبائل الاباضية في مواجهة صف الرجبان والزنتان والمحاميد، وقد نظرت قبائل المشاشبة وأولاد بوسيف إلى الدولة العثمانية كخصم بسبب مساعدتها الزنتان، ولذلك تحالفت مع الفلاحين الاباضية، ولكن من الخطأ النظر إلى تاريخ الجبل الغربي من خلال هذا الصراع، فلقد تحالف العرب والبربر بقيادة غومة المحمودي (١٧٩٥-١٨٥٨) في انتفاضته المسلحة (١٨٣٥-١٨٥٨)، من جراء بطش وتعسفهم العثمانيين بجمع الضرائب .

وكانت الخلفية الأساسية وراء الحرب الأهلية في الجبل الغربي هي تنافس الأعيان والشيوخ على المكاسب السياسية، والمعونات الايطالية للأعيان المتضررين، الأمر الذي دفع سلطان بن شعبان والشيخ حرب النايلي الى الانضمام إلى الايطاليين من اجل استعادة نفوذهم [٢٩] .

انتظم الفرقاء في مطلع آذار ١٩١٦ ضمن صفين قبليين، ضم الأول بالخصوص الشيخ محمد بن سوف المحمودي زعيم الحوامد، ومهدي السني قائد الزاوية السنوسية بمزدة، وخليفة بن عسكر زعيم نالوت وكان يقود اقساماً من الرحيبات والحرابة، وأولاد محمود، ونالوت وغيرهم، والمهدي فكيني الذي ساعده علي البدوي، وعلي الشنطة (١٨٥٨-١٩٢٦) من الزنتان، وكان تحت أمرة هولاء كل من الزنتان والرجبان، أما الصف المقابل فقد تزعمه سلطان بن شعبان، وكان ذا نفوذ كبير في زوارة وما حولها ولدى البربر بعامة وساسي خزام، وحرب النايلي، ومن انضم إليهم، ولدى التدقيق في المعسكرين، فإننا نجد إن خليفة بن عسكر انحاز لأعداء بني جلدته، أي انه سيستعدي على نفسه الأغلبية الثائرة من البربر في الجبل الغربي، لذا فالحرب لم تكن دينية- عرقية، وإن بدا في

٢٩ د.علي عبد اللطيف احميدة، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا (١٨٣٠ – ١٩٣٠)، المصدر السابق، ص ١٧٦-١٧٧

ظاهر الأمور إنها كذلك، ثم إنه ليس من الصائب الجزم بأنها جمعت بين أنصار ايطاليا وأعوانها بمعسكر المجاهدين، وباختزال شديد كانت حرب ١٩١٦ بالجبل الغربي في بداياتها على الأقل حرب مصالح ليس إلا [٣٠].

أدرك الشيخ محمد بن سوف المحمودي مخاطر سياسته، بخاصة مع وصول أخبار تحرك الناقمين عليه للقيام بعمل عسكري مضاد بدعم من الايطاليين، لذا سعى في مطلع آذار ١٩١٦ للاجتماع بساسي خزام، و اصدر أوامره إلى خليفة بن عسكر بالعودة إلى الجبل الغربي وتقاسم السلطة مع زعيم يفرن، وشكل وفد برئاسته مع عدد من الزعماء الآخرين، للاجتماع مع سلطان بن شعبان، والحيلولة دون انضمامه إلى الايطاليين، لكن المهمة أخفقت إذ ابلغهم الأخير بتحالفه مع الايطاليين، الذين ابرم الصلح معهم، وسرعان ما انضم إليه ساسي خزام.

نشبت الحرب في نيسان ١٩١٦ بين الرجبان والزنتان من جهة وفساطو من جهة أخرى، لتنتهي بهزيمة الأخيرة، وسحق " المتطلينيين"، مع الاشارة إلى أن السبب المباشر للقتال، يعود إلى استيلاء الرجبان والزنتان على رسالة موجهة لحليفهما خليفة بن عسكر، من اجل ثنيه عن موقفه، تحمل تواقيع ساسي خزام وسلطان بن شعبان ويوسف خربيش، تتضمن اتهام للقبيلتين اللتين ظهرتا بمظهر من يحاول بذر الشقاق بين صفوف السكان [٣١].

لقد خلف الصراع الضغائن بين الفريقين،اذ كان من نتيجة الحرب الأولى سنة ١٩١٦ أن جلا البربر عن أوطانهم في الجبل الغربي، وأقاموا في زوارة وما حولها، وقد طالت بهم الهجرة وألحت عليهم الحاجة، فلم يجدوا بدا من العودة إلى أوطانهم، ولم يرق هذا الرجوع لقادة الطرف الآخر محمد فكيني (١٨٥٩-١٩٥٠) وعلي الشنطة، خوفا من أن يتحرش بهم البربر مرة أخرى وتنشب بينهم الحرب، ولكن هذا لا يبرر أن يترك البربر أوطانهم [٣٢].

تكونت لدى الحكومة الايطالية خبرة واسعة عن التناقضات القبلية والجهوية في البلاد، لذلك أصر الوفد الايطالي إلى مفاوضات الصلح مع وفد الجمهورية الطرابلسية (أعلنت بتأريخ ١٦ تشرين

٣٠ فتحي ليسير، خليفة بن عسكر(بيوغرافيا قائد غامض)، ط١، صفاقس، مركز سرسينا للبحوث حول الجزر المتوسطية، أفريل ٢٠٠١، ص ١٨٧-١٨٨.

٣١ المصدر نفسه، ص١٩٧-١٩٨ .

٣٢ للتفاصيل عن الجمهورية الطرابلسية ينظر: أحمد زارم، مذكرات أحمد زارم، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، جويلية ١٩٧٩، ص٥٧-٦٨ .

الثاني ١٩١٨) [٣٣]، تلك التي أفضت إلى عقد صلح بنيادم في ١٨ نيسان ١٩١٩، على عودة مهجري حرب الجبل الغربي الذين لجؤوا إلى زوارة على الساحل، ولكن السلطات الايطالية لم تدع هولاء يعودون إلى مناطقهم في الجبل الغربي عُزلاً من السلاح بل مسلحين[٣٤].

لم تكن السنوات الثلاث التي تفصل بين صلح بنيادم وبداية العمليات العسكرية في ٢٦ كانون الثاني ١٩٢٢، سنوات هدنة حقيقية بين المجاهدين والمحتلين الذين حوصروا في مواقع متباعدة، منذ موقعة القرضابية، ولكنها كانت في الحقيقة سنوات عمل وسباق بين الطرفين، ففي الوقت الذي كان الايطاليون يعملون فيه على زرع الفتنة والشقاق، مع السعي لكسب ود بعض الزعماء، كان زعماء الجهاد يسعون الى وحدة الصف الوطني وجمع ما أمكن جمعه من شتات الزعامات القبلية التي عمل بعضها لمصالحه الشخصية من دون أي اعتبار آخر [٣٥] .

استاء الايطاليون من معاداة خليفة بن عسكر لهم، فأرسلوا إليه في أوائل عام ١٩٢٠ بطلب الصلح معه، فوعدهم بهذا، لكنه رفض التحالف معهم، في أثناء ذلك استغل محمد فكيني منصبه عضواً بحكومة الجمهورية الطرابلسية، فتدخل في فصل المراكز السكانية في الجبل الغربي بعضها عن بعض، فلم يحظ ذلك برضا خليفة بن عسكر، معتبراً إياها تدخلاً في الشؤون الداخلية، وتهيأت النفوس للصراع.

أثناء ذلك طلب الايطاليون تدخل سليمان الباروني في حزيران ١٩٢٠، فنجحوا بإقناعه بزيارة طرابلس الغرب، إذ رحب الايطاليون به، وأصدروا عفواً عنه، لكن في أثناء ذلك فوجيء بحدث مؤلم، وهو مقتل حليفه المقرب رمضان السويحلي في ٢٠ آب ١٩٢٠، ما ادخل اليأس في نفسه، كما كان وجوده يخفف من حدة التوتر والصراع في الجبل الغربي [٣٦] .

لذا ما لبث أن تجدد الصراع الداخلي في المدة(آب ١٩٢٠ – كانون الأول ١٩٢١)، بين خليفة بن

---

٣٣ . الطاهر احمد الزاوي، المصدر السابق، ص ٢٨٦ .

٣٤ د.علي عبد اللطيف احميدة، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا (١٨٣٠ – ١٩٣٠)، المصدر السابق، ص ١٧٨ .أفضت المفاوضات إلى عقد صلح بنيادم في ١٨ نيسان ١٩١٩. للتفاصيل ينظر: محمد مسعود فشيكة، المصدر السابق، ص٢٠٣-٢٠٧.

٣٥ محمد سعيد القشاط،، معارك الدفاع عن الجبل الغربي ١٩٢٢-١٩٢٥،ط١، طرابلس، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٨٣، ص٢٣ .

٣٦ الطاهر احمد الزاوي، المصدر السابق، ص ٢٨٦-٢٨٧ .

عسكر والحلفاء السابقين من الزنتان والرجبان، ما أفضى إلى إلحاق الهزيمة النهائية به[٣٧]، وتكمن أسباب ذلك، في ما يلي :

١. استمرار التحالفات القديمة المسلحة، المسماة بالصفوف في منطقة الجبل الغربي، تلك التي تراجعت في أثناء الجهاد ضد الايطاليين خلال المدة (١٩١١-١٩١٤).

٢.تداعيات الحرب الأهلية عام ١٩١٦، التي أدت الى تهجير قسم من السكان، واستقرارهم بظروف بالغة السوء، فطالبت السلطات الايطالية بعودتهم عام ١٩١٩، الأمر الذي جوبه باستياء زعماء الزنتان والرجبان، لكن الظروف كانت مناسبة لذلك، فتمت العودة .

٣.استحكام التنافس بين مختلف الزعامات القبلية بالجبل الغربي وبطرابلس الغرب خاصة، إذ كان الصراع القبلي والتضاد الصفي، لا يخمد إلا ليعود للاضطرام من جديد بفعل المستجدات السياسية، والأزمات السياسية.

٤.تصاعد التوتر القبلي مع عودة المهجرين، في المدة(تشرين الثاني – كانون الأول ١٩١٩)، إلى مواطنهم الأصلية، ترافق معه سعي الايطاليين لدعمهم بالسلاح، ما أثار الريبة والتوجس لدى الطرف الآخر.

٥.شكل تعيين خليفة بن عسكر، بمنصب قائمقام نالوت في آب ١٩٢٠، الشرارة التي أججت الصراع، كونه دخل بصراع مع قائمقام البلدة السابق إبراهيم أبو الاجباس الرجيبي، ثم جاءت اللحظة الفاصلة باستيلاء على مواشي احد الفلاحين الاباضيين، فسارع بطلب نجدة خليفة بن عسكر، الذي أمر بالاستيلاء على مواشي إبراهيم أبو الاجباس، الأمر الذي أثار حفيظة الطرف الآخر، فأعد حسن بن محمد فكيني، قوة عسكرية لاستعادة المواشي المصادرة، فنتج عن ذلك صدام عسكري، أفضى لمصرعه في ٢٩ آب ١٩٢٠، ما أدى الى حرب شاملة بين الطرفين [٣٨] .

لقد اهتم الزعماء وشيوخ القبائل بمصالحهم الاقتصادية والسياسية واعتبروها فوق جميع الاعتبارات الأخرى، حتى إنهم لم ينظروا إلى الدولة الايطالية عدواً أول مما حدا ببعضهم إلى اللجوء

٣٧ نجح الايطاليون بتدبير مكيدة أدت إلى القبض على خليفة بن عسكر، ليتم إعدامه بتأريخ ٢٠ أيلول ١٩٢٢، للتفاصيل ينظر: الطاهر احمد الزاوي، المصدر السابق، ص ٢٩٠-٢٩٢ .

٣٨ فتحي ليسير، المصدر السابق، ص ٢٧٩-٢٨٤ .للتفاصيل ينظر: د.محمد سعيد القشاط،، مذكرات المجاهد عون بن سوف، ط١، بيروت، دار الملتقى للنشر، ١٩٩٨، ص١٩ -٣٢ .

إليها وسيلة لحمايتهم وحماية مصالحهم، وهزيمة خصومهم من القبائل الأخرى.

وخلاصة القول انه من نتائج موقعة القرضابية أن أفرزت زعامات جديدة منافسة للزعامات التقليدية القديمة معتمدة على مقوماتها الشخصية كالشجاعة وقوة الإرادة والعزم رغم افتقارها للخبرة والحنكة السياسية في الانضواء، تحت راية الزعامات السابقة لا لكون تلك الزعامات هي الأفضل ولكن الظروف تحتم توحيد الجهود تحت زعامة وطنية واحدة دون تشتيت الجهود، الأمر الذي سيكون المحتل هو المستفيد الأول منه-[٣٩] .

وبالاستناد إلى المعطيات السابقة، شرع الايطاليون إلى المبادرة بالعمل العسكري، فأحتلت قواتهم ميناء قصر احمد بمصراتة، بتأريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩٢٢، ما مثل بداية المرحلة الأخيرة من حركة الجهاد، إذ امتدت العمليات العسكرية لتشمل جميع أنحاء البلاد، ما أفضى بالنهاية إلى القضاء على حركة المقاومة، وإعادة الاحتلال العسكري الكامل في المدة (٢٦ كانون الثاني ١٩٢٢- ٢٤ كانون الثاني ١٩٣١)[٤٠] .

٣٩ مراد أبو عجيلة القمودي، المصدر السابق، ص ٩٧-٩٨ .

٤٠ خليفة محمد التليسي، المصدر السابق، ص ٦٣. للتفاصيل ينظر: الطاهر احمد الزاوي، المصدر السابق، ص٣٠٨-٣٧١ .

الخاتمة:

نجح الايطاليون باحتلال ليبيا عام ١٩١٢، عقب حرب قصيرة الأمد مع الدولة العثمانية، التي أنهكتها عقود من الصراعات الخارجية والداخلية، تلك التي رافقتها الأزمات على مُختلف الصُعد، لكنهم سرعان ما جوبهوا بمقاومة داخلية مسلحة شرسة، كانت دوافعها تقليدية، تراوحت ما بين الوازع الديني، وهو الأبرز، إلى الرفض الشعبي الواسع لجميع مفردات وأساليب السياسة الايطالية، تلك التي تميزت بأقسى درجات القسوة والبطش، بخاصة مع اتخاذها صيغة الضم المباشر والإلحاق، لذا لم يكتف المحتلون بالسيطرة السياسية- العسكرية، بل سعوا سعياً حثيثاً وممنهجاً إلى المساس بجميع مقومات المجتمع والشخصية المحلية، عبر شتى الوسائل المتاحة لهم، ما أوجد ردود فعل عنيفة بين صفوف السكان على اختلاف قومياتهم ومذاهبهم، ضد السياسة الرسمية " لطلينة " البلاد، مع جميع المرحبين بها أو المتعاونين معها.

لقد غلب على المجتمع بكافة مكوناته ومناطق سُكناه، الطابع القبلي، بخاصة مع الاتساع الجغرافي، وتعدد البيئات الجغرافية، من الساحل إلى الصحراء، بالإضافة إلى ضعف السلطة المركزية، ما سمح للزعماء القبليين والجهويين بقدر واسع من السلطات، مع هامش كبير للتحرك، بخاصة فيما يخص الشؤون المحلية، زاد منه التجذر العميق لما يُعرف بالصفوف (التحالفات) القبلية.

لذا لم يكن من المستغرب أن يكون الغالبية العظمى من زعماء القبائل في مقدمة الصفوف، لمحاربة المحتلين الايطاليين، على الرغم من سعيهم إلى اجتذب بعض الزعماء المحليين، عبر تقديم المال والنفوذ، مع السعي الرسمي الحثيث لتجنيد كتائب من السكان المحليين للقتال إلى جانبهم، ضد أشقائهم، وهو ما يوفر ميزة للايطاليين، بحكم معرفتهم السابقة بجغرافية البلاد المترامية وتضاريسها المختلفة.

كانت هذه السياسة الاستعمارية، مع جميع حيثياتها وتفاصيلها المختلفة السرية منها أو العلنية، معروفة ومتبعة من جميع المستعمرين الأوروبيين، ولعل أبرزها مبدأ " فرق تسد"، أي السعي لبث الفرقة بين صفوف السكان، من اجل زرع بذور الفتنة والشقاق بينهم، لتفتيت الوحدة الداخلية والصف الوطني، ومن ثم إضعاف جبهة المقاومة للمحتل، بخاصة مع فشل الحلول العسكرية

التقليدية، فاحتلال البلاد أمر، وإدارتها مع إحكام السيطرة عليها، أمر مختلف تماماً، بخاصة في بلاد شاسعة مترامية الأطراف، وهذه المعضلة الشائكة، كانت ابرز ما اصطدم به الايطاليون في أثناء مدة الاحتلال، بخاصة عقب هزائمهم المدوية المتتالية خلال المدة (تشرين الثاني ١٩١٤- نيسان ١٩١٥)، أمام حنكة المجاهدين واستبسالهم، فأرغموا على التقهقر، باستثناء بعض المراكز الحضرية المتباعدة في طرابلس الغرب وبرقة، في حين أرغموا على إخلاء فزان.

سعى المحتلون، في المدة(١٩١٥-١٩٢٢)، إلى إثارة النعرات القبلية والقومية- المذهبية، ذات الطابع الجهوي، مما أدى إلى اشعال نار الصراعات والفتن الداخلية، في أماكن عدة، ما جعل أطرافها تدخل بصراعات مسلحة عنيفة، كان من ابرز المنخرطين بها في تلك المرحلة رمضان السويحلي زعيم مصراتة، وخليفة بن عسكر في الجبل الغربي، الأمر الذي ألحق بجميع الإطراف المتحاربة، خسائر فادحة، إذ أرغمها على التفرغ للحروب والاقتتال الداخلي، ذلك الذي اتخذ نمط الحرب الشاملة، مع إتباع سياسات التهجير والأرض المحروقة تجاه الطرف المنهزم، بدلاً من التوجه نحو قتال المحتلين، مما كان له نتائج كارثية، على حركة الجهاد، أفضى في النهاية إلى تمكن الايطاليين من فرض سلطتهم بقوة السلاح، على كامل البلاد، للمدة (١٩٢٢-١٩٣١).

المصادر:

حميدة، د. علي عبد اللطيف. يناير ١٩٩٥. المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا (١٨٣٠ – ١٩٣٢) . ط١. بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية . سلسلة أطروحات الدكتوراه (٢٦).

الأحمر، المولدي . أكتوبر ٢٠٠٩ . الجذور الاجتماعية للدولة الحديثة في ليبيا: الفرد والمجموعة والبناء الزعامي للظاهرة السياسية. ط١. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ؟ سلسلة أطروحات الدكتوراه (٧٨).

حميدة، علي عبد اللطيف . تموز ٢٠٠٩. الأصوات المهمشة : الخضوع والعصيان في ليبيا أثناء الاستعمار وبعده. ط١. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

الأشهب، محمد الطيب بن إدريس . ١٩٥٦ . السنوسي الكبير:عرض وتحليل لدعامة الإصلاح السنوسي. د.ط. مصر: مكتبة القاهرة.

بن موسى، تيسير . ١٩٨٨. المجتمع الليبي في العهد العثماني: دراسة تاريخية اجتماعية. الجماهيرية العظمى: الدار العربية للكتاب.

التليسي، خليفة محمد . ١٩٨٣ . معجم معارك الجهاد في ليبيا ١٩١١-١٩٣١. الدار العربية للكتاب.

جوهر، حسن محمد . ١٩٦٠ . مصطفى شرف. صلاح العرب عبد الجواد. ليبيا- مصر: دار المعارف. سلسلة شعوب العالم (٤).

الحسناوي، حبيب وداعة . ١٩٨٨ . قصة جهاد الليبيين ضد الاستعمار الإيطالي (١٩١١ – ١٩٤٣) . د.ط. ليبيا : مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية .

د.مجيد خدوري. ١٩٦٦. ليبيا الحديثة (دراسة في تطورها السياسي). د.ط. بيروت: دار الثقافة.

رشدي، راسم . ١٩٥٣. طرابلس الغرب في الماضي والحاضر.ط١. القاهرة: دار النيل للطباعة.

زارم، أحمد . جويلية ١٩٧٩ . مذكرات أحمد زارم. د.ط. ليبيا- تونس: الدار العربية للكتاب.

الزاوي، الطاهر احمد . ١٩٥٠ . جهاد الأبطال في طرابلس الغرب.ط١. القاهرة: مطبعة الفجالة الجديدة.

سامح، عزيز . ١٩٦٩. الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية: ترجمة عبد السلام أدهم. ط١. بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر.

العقاد، صلاح . ١٩٧٠ . ليبيا المعاصرة. د.ط. القاهرة: جامعة الدول العربية. معهد البحوث والدراسات العربية.

فشيكة، محمد مسعود . رمضان السويحلي. ١٩٧٤ . ط١. طرابلس- ليبيا: دار الفرجاني.

القشاط، محمد سعيد . ١٩٩٨. مذكرات المجاهد عون بن سوف. ط١. بيروت : دار الملتقى للطباعة والنشر.

القشاط، محمد سعيد. ١٩٨٣. معارك الدفاع عن الجبل الغربي ١٩٢٢-١٩٢٥. ط١. طرابلس: منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان.

القمودي، مراد أبو عجيلة . ٢٠٠٩ . حكومة مصراته الوطنية وأثرها على حركة الجهاد في ليبيا من سنة ١٩١٤-١٩٢٢. ط١. مصراته – ليبيا: مكتبة الزحف الأخضر.

كمالي، إسماعيل . ١٩٩٧ . سكان طرابلس الغرب. تعريب وتعليق حسن الهادي بن يونس. الجماهيرية العظمى: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية. سلسلة الدراسات المترجمة (٣٠).

ليسير، فتحي . ٢٠٠١. خليفة بن عسكر: بيوغرافيا قائد غامض. ط١. صفاقس: مركز سرسينا للبحوث حول الجزر المتوسطية. أفريل.

المصري، اليوزباشي إبراهيم لطفي . ١٩٤٩ . تاريخ حرب طرابلس.ط١. بنها: مطبعة مؤسسة الأمير فاروق.

مناع، محمد عبد الرزاق . ١٩٧٥ . الأنساب العربية في ليبيا. د.ط. بنغازي- ليبيا: مؤسسة ناصر للثقافة. دار الوحدة.

ناجي، محمود. ١٩٧٠. تاريخ طرابلس الغرب: ترجمة عبد السلام ادهم ومحمود الأسطى. د.ط. بنغازي: منشورات الجامعة الليبية.

هلال، جميل . ١٩٦٧ . دراسات في الواقع الليبي. د.ط. طرابلس: مكتبة الفكر.